ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

D.Saad Ahmed Alwan

Iraqi University / College of Education for Girls

* *Corresponding author: E-mail* :
Saad.alanezee0@gmail.com

***Keywords*:**
prophets'
miracles,
revelation and reason

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 15 Feb. 2023
Accepted 21 Feb 2023
Available online 28 Feb 2023
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©2023 COLLEGE OF Education for Human Sciences, TIKRIT UNIVERSITY. THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

The possibility of the occurrence of prophets' miracles in terms of revelation and reason

A B S T R A C T

This study aimed to identify the nature of miracles and their importance to prophecy, to identify the difference between miracle and magic, and to identify the possibility of a miracle occurring in terms of revelation and reason. The study reached several results including:

1. Miracles are evidence of the sincerity of the messengers and prophets - peace be upon them -.
2. The real performer of the miracle is Almighty Allah and He supports his prophets with those miracles as if He is saying: My servant was honest in what he reports about me and on my behalf.
3. The miracles denier is the one who denies the explicitness of the Holy Qur'an and the purified Sunnah of the Prophet. Thus, he denies intentionally something inevitable in religion.
4. The miracle is rationally possible, and the Sharia has spoken of it, so it must be believed.

The study reached several recommendations, the most important of which are: the necessity of urging more research in these matters due to the human need for prophecy and religion, so that Muslims, especially the youth among them, can know the faith with certainty.

© 2023 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.30.2.2.2023.03

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

إمكانية وقوع معجزات الأنبياء بين النقل والعقل

أ.م.د سعد احمد علوان/الجامعة العراقية / كلية التربية للبنات

الخلاصة:

هدفت الدراسة إلى التعرف على ماهية المعجزات وأهميتها بالنسبة للنبوة، والتعرف على الفرق بين المعجزة

والسحر، والتعرف على إمكانية وقوع المعجزة من حيث النقل والعقل، وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، أهمها:

١. إن المعجزات هي الأدلة على صدق الرسل والأنبياء –عليهم السلام–.
٢. إن الفاعل الحقيقي للمعجزة هو الله –سبحانه وتعالى– ويجريه على يد نبي من أنبيائه وكأنه يقول: صدق عبدي فيما بلغ عني.
٢. أن منكر خوارق العادات (معجزات أو كرامات) فهو منكر لصريح القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؛ وبذلك يكون أنكر معلوماً من الدين بالضرورة.
٤. أن المعجزة ممكنة عقلاً، وقد تحدث عنها الشرع؛ لذا يجب الإيمان بها.

وقد أوصت الدراسة بالعديد من التوصيات أهمها: ضرورة الحث على مزيد من البحث في هذه الأمور لحاجة البشر إلى النبوة، والدين، حتى يتسنى للمسلمين وخاصة الشباب منهم، معرفة العقيدة عن يقين.

كلمات مفتاحيه: معجزات الأنبياء، النقل والعقل.

المقدمة:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم– الخاتم لما سبق، والفاتح لما أغلق، ناصر الحق بالحق، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد...

فإن الحق –سبحانه وتعالى– أرسل رسله لهداية الخلق إلى الحق، ولتبليغ مراد الله –تعالى–؛ لذا فقد اصطفى الله الأنبياء والرسل وفضلهم على العالمين؛ حتى يليقوا بجلال الرسالة، فقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} [آل عمران: ٣٣] أي: اختارهم للنبوة والرسالة في عالمهم،[١] فالأنبياء أفضل الناس سواء في زمانهم أم في غير زمنهم.

ولكن الحق –سبحانه وتعالى– لم يرسل الرسل عليهم السلام للناس دون دليل أنهم مرسلون من عند الله؛ فيجري على أيديهم دليل صدقهم، فيخرق لهم العادات، ويسخر لهم الطبيعة؛ وهذا ما يعرف بالمعجزة؛ فالمعجزة دليل صدق الأنبياء، وهي من عند الله، وليس للبشر فيها دخل، وكأن الله يقول صدق عبدي فيما بلغ عني.

ولكن هناك من ينكر المعجزات اعتماداً على أن العقل لا يصدق وقوعها أو حدوثها، وقالوا: لو جاز وقوع المعجزة لجاز أن ينقلب الجبل إلى ذهب، والبحر إلى دهن والمدعي للنبوة شخص آخر،[٢] ويصفون هذا الأمر بالخرافات؛ كالملاحدة الذين ينكرون حادثة الإسراء والمعراج.

فكان ذلك سبباً لاختيار هذه الدراسة (إمكانية وقوع معجزات الأنبياء بين النقل والعقل) وليس الهدف منها سرد معجزات الأنبياء، ولكنها تهدف إلى بيان إمكانية وقوع المعجزة من الناحية العقلية.

أهداف الدراسة:

١. معرفة ماهية المعجزة.
٢. بيان أهمية المعجزة بالنسبة للنبوة.
٣. معرفة الفرق بين المعجزة وغيرها من خوارق العادات.
٤. الفرق بين المعجزة والسحر.
٥. إمكانية وقوع المعجزة من حيث النقل والعقل.

مشكلة الدراسة:

إن الإنسان درس الكون من حيث الطبيعة المرئية له، ونتج عن هذه الدراسات نظريات، وقوانين علمية، جعلت بعض العقول تنكر وجود خوارق العادات، ومنها المعجزات التي أيد الله بها الأنبياء – عليهم السلام–

وهناك نصوص من القرآن والسنة تثبت وجود خوارق العادات، فهي من الناحية النقلية أمر مسلم به؛ ولكن كي يُسلم المؤمن بيقين، ويطمئن قلبه خاصة في زمن طغت فيه الماديات عليه أن يعمل النظر، ويدرك بعقله إمكانية خوارق المعجزات، وهنا تكمن مشكلة الدراسة؛ وهي: ما هي الضوابط والأسس العقلية التي تؤيد إمكانية المعجزة، وتنفي استحالتها؟

أسئلة الدراسة:

١. ما هي ماهية المعجزة؟
٢. ما هي أهمية المعجزة بالنسبة للنبوة؟
٣. ما الفرق بين المعجزة وغيرها من خوارق العادات؟
٤. ما الفرق بين المعجزة والسحر؟
٥. ما هي إمكانية وقوع المعجزة من حيث العقل؟

هيكل الدراسة:

المبحث الأول: معنى المعجزة وأهميتها.

المطلب الأول: تعريف المعجزة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية المعجزة للنبوة.

المبحث الثاني: خصائص المعجزة.

المطلب الأول: أن تكون خارقة للعادة.

المطلب الثاني: المعجزة تكون من جنس ما برع في القوم.

المطلب الثالث: المعجزة مقرونة بالتحدي.

المبحث الثالث: الفرق بين المعجزات وباقي خوارق العادات.

المطلب الأول: الفرق بين المعجزة والإرهاص والكرامة.

المطلب الثاني: الفرق بين المعجزة والإهانة والاستدراج.

المطلب الثالث: الفرق بين المعجزة والسحر.

المبحث الرابع. إمكانية وقوع المعجزات نقلاً وعقلاً.

المطلب الأول: خوارق العادات في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: خوارق العادات في السنة النبوية.

المطلب الثالث: خوارق العادات من حيث العقل.

الخاتمة.

النتائج والتوصيات:

المبحث الأول

معنى المعجزة وأهميتها

المطلب الأول تعريف المعجزة:

المعجزة في اللغة: مشتق من عَجَزَ، وتطلق هذه الكلمة على عدة معاني؛ والعجز: يدل على الضعف، تقول: عجز عن الشيء يعجز عجزاً، فهو عاجز، أي: ضعيف؛ ويقال أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، وقال تعالى: {لَنْ نُعجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا} [الجن: ١٢] ومنها العجوز: المرأة الشيخة؛ والعجز: داء يأخذ الدابة في عجزها،[٣] ومنها التعجيز: التثبيط، والخمر إذا عتقت، والقبلة، والبقرة، ونصل السيف، كل هذه الألفاظ يطلق عليها عجوز.[٤]

والمعنى المحوري الذي يجمع بين هذه الألفاظ هو: "رخاوة المجتمع في أسفل الشيء وطراءته؛ لذهاب الشدة والقوة من أثنائه"[٥]

المعجزة اصطلاحاً:

عرفها الجويني بأنها: فعل من أفعال الله تعالى خارق لظاهر الطبيعة، حسب دعوى النبوة، ويعجز عن الإتيان بمثلها"[٦]

وعرفها التفتازاني بأنها: أمر مخالف للعادة، اقترن بها التحدي، وعدم المعارضة، وقيل: أمر يراد به إظهار صدق من ادعى النبوة والرسالة، وزاد بعضهم قيد أن توافق دعوى النبي، وبعضهم زاد أن تكون مقارنة لزمن التكليف، لأنه في حالة انقراض التكليف تظهر الخوارق، لا لقصد التصديق[٧]

وعرفها الشريف الجرجاني بأنها: خارق للعادة، داع إلى الخير والسعادة، اقترن به دعوى النبوة، والهدف منها إظهار صدقه فيما يقول.[٨]

ويمكن الجمع بين الجميع بأنها: أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد من يدعي النبوة تصديقاً له، موافقاً لدعواه، مقروناً بالتحدي، ويعجز البشر عن الإتيان بمثله.

المطلب الثاني أهمية المعجزة للنبوة:

فمن خلال تعريف المعجزة تتضح أهميتها للنبوة؛ فكل إنسان يدعي النبوة بين قومه فعلامة صدقه أن يجري الله على يديه أمراً خارقا للعادة، وكأن المولى –عز وجل– يقول صدق عبدي فيما بلغ عني، فهي بمنزلة التصديق بالقول.[٩]

وقد ضرب إمام الحرمين مثلاً لهذا الأمر بقوله: لو خرج ملك للناس وأذن لهم بالمثول أمامه فلما احتفوا به، وأخذ كل مجلسه قام لأهل الجمع قائم، وقال: يا أيها الملأ إني رسول الله إليكم، وقد ادعيت الرسالة تحت سمع وبصر الملك، وعلامة صدقي فيما أقول أن الملك يخالف عادته ويقوم ويقعد إذا طلبت منه ذلك، ثم يقول: يا أيها الملك صدقني، وقم واقعد، فإذا فعل الملك ما طلب منه كان ذلك تصديقا له[١٠]

فأهمية المعجزة بالنسب للأنبياء هي بيان صدقهم لإثبات نبوتهم ورسالتهم فإن طريق إثبات النبوة والرسالة على الإطلاق هو المعجزة لا غير، وهذا لا ينافي خلق العلم الضروري بها، أو ثبوتها بإخبار من نبي آخر أو كتاب[١١]

ويرى ابن تيمية أن النبوة هي أصل المعجزة، والولاية هي أصل الكرامة، فلا تكون المعجزة الخارقة للعادة –التي هي أصل الكرامة في الجنس– إلا مع النبوة الصادقة؛ فالمعجزة هي دليل النبوة الصادقة، والكرامة دليل على صدق الشاهد بالنبوة الصادقة؛ وجامعهما آية الله الخارقة الدالة على النبوة الصادقة[١٢]

فابن تيمية هنا يستدل بالمعجزة والكرامة على ثبوت النبوة؛ فالمعجزة دليل على صدق النبوة من الله –سبحانه وتعالى– والكرامة دليل عقلي ساقه الله للناس على صدق النبوة أيضاً، وهذا لأن الولي الذي أجرى الله على يديه هذا الخارق؛ سببه أنه أطاع الله وداوم على الطاعة باقتدائه بنبيه، فكان حال هذا الصالح دليل على صدق النبوة.

وهذه المعجزات التي أيد الله بها رسله، لا بد وأن تفوق القدرة البشرية، وأن تكون مخالفة للسنن، ونواميس الطبيعة المألوفة، وخارقة للعادات المعروفة؛ ومن ثم كانت المعجزة ضرورية، وإظهارها واجب؛ ليتم بها المقصود من تبليغ الرسالة، وتقام بها حجة الله على الناس.(١٣)

وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون المعجزة من جنس ما نبغ فيه القوم، حتى تكون الحجة أبلغ، والإلزام بها أتم، فقد أرسل الله موسى –عليه السلام– إلى قوم بلغوا من السحر شأناً كبيراً فكانت معجزته تتمثل في العصا التي انقلبت إلى حية تسعى؛ ومعجزة عيسى –عليه السلام– فقد برع قومه في الطب فكانت معجزته في إبراء الأكمه والأبرص؛ بل وصل الأمر إلى إحياء الموتى فعلم قومه أن هذه الأمور من قبيل المعجزات لا من قبيل الطب.

وقد كانت المعجزة الكبرى لخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– كانت القرآن متمثلة في بلاغته وفصاحته، وكان العرب بلغاء فصحاء، ولم عجزوا عن الإتيان بأقصر سورة منه علموا أنه معجز من عند الله لا من عند البشر.(١٤)

المبحث الثاني

خصـــــائص المعجـــزة

إن المعجزة لكي تكون أبلغ، وألزم، ويظهر كونها خارقة للعادة؛ ويتبين صدق النبي، يلزم لها عدة أمور، أن تكون خارقة للعادة، وأن تكون من جنس ما برع فيه القوم، وأن تكون مقرونة بالتحدي؛ حتى يظهر عجز البشر عن الإتيان بمثلها.

المطلب الأول أن تكون المعجزة خارقة للعادة:

إن المعجزة لو كانت موافقة للعادة لما كانت معجزة وفقدت مصداقيتها، وأهميتها؛ فلو ادعى أحد النبوة وقال إن آية صدقي أن تطلع الشمس من مشرقها، فلن يتعجب أحد ولن يصدقه أحد لأنه يتحدث في أمر موافق للعادة،(١٥) ومن عادات الناس أن النار تحرق لو ألقي أحد في النار ولم تحرقه، فهذا مخالف للعادة؛ كما حدث مع إبراهيم –عليه السلام– قال تعالى: {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ} [الأنبياء: ٦٩]

وذكر الإمام الرازي أقوالاً كثيرة في كيفية برودة النار، وعدم حرقها ابراهيم –عليه السلام– [١٦] ولا داعي لكل هذه الأقوال إذ لو علم أحد من البشر الكيفية لما كانت معجزة؛ لأن المعجزة فوق قوانين العقل، ولا يستقل العقل البشري بماهيتها.

فالعادة أن النار تحرق، ولكنها لا تحرق بطبعها، ولا بقوة أوجدها الله فيها؛[١٧] ولكنها تحرق بالأمر الإلهي فقد خلق الله الخلق، وخص كل مخلوق بوظيفة، فخلق النار وأراد لها الإحراق أي خصص لها هذا الفعل؛ وأصبح ذلك عادة بالنسبة للخلق، ولكن الذي أعطاها أمر الإحراق قادر على سلب هذا الأمر منها، فقال لها كوني برداً وسلاماً فكانت؛ فوجه إلى النار أمر بسلب الإحراق.[١٨]

لذا فمن أخص خصائص المعجزة مخالفة العادة، إذ لا إعجاز بدونه، وذكر الإيجي أن قوم واشترطوا ألا تكون المعجزة في مقدور النبي؛ لأن قدرته مع عدم قدرة غيره عادة معجز[١٩]

المطلب الثاني المعجزة تكون من جنس ما برع فيه القوم:

إن المعجزة لو كانت من غير ما برع فيه القوم لم كان لها وقع في النفوس، ولما احتار في أمرها الناس، وربما ضاع المقصود، والهدف من وقوع المعجزة؛ وقد تمت الإشارة في السابق بشيء من الإجمال عن هذا الأمر، وإليك مثالين للدلالة على هذا الأمر.

أولاً: معجزة عيسى –عليه السلام–:

إن الحق –سبحانه وتعالى– أرسل عيسى –عليه السلام– في زمن بلغ الطب فيه مبلغاً كبيراً؛ فأيد الله عيسى –عليه السلام– بمعجزات يعلم من خلالها الخبراء في الطب أنها معجزات، لأن هذه الأمراض لا علاج لها في وقتها، خاصة إحياء الموتى فلا يملك أحد إحياء الموتى إلا الله.

وذكر الحق سبحانه وتعالى معجزة عيسى –عليه السلام– إلى قومه فقال تعالى: {وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ} [آل عمران: ٤٩]

فهذه المعجزات الفاعل لها هو الله ولكنه أجراها على يد عيسى –عليه السلام– فكان تسوية الطين والنفخ من قبل عيسى –عليه السلام–، والخلق من قبل –تعالى– الله، كما ان النفخ من قبل جبريل والخلق من قبل الله [٢٠] وإبراء الأكمه: وهو الذي يولد أعمى، وقيل: هو الذي يرى نهاراً، ولا يرى ليلاً، وقيل العكس، والأشبه هو الذي يولد أعمى؛ لأنه أبلغ في المعجزة ، وأقوى في التحدي؛[٢١] والأبرص: وهو بياض خالص يعتري الجلد؛ وخص هذان بالذكر لأنهما من الأمراض المزمنة التي لا علاج لها، وكان الغالب في زمن عيسى –عليه السلام– الطب فأراهم الله المعجزة من جنس ذلك.[٢٢]

وقال ابن كثير: قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بمعجزة تناسب ما برع فيه قومه –عليه السلام–، فكان الغالب على زمان موسى، عليه السلام، السحر وتعظيم السحرة؛ فأرسله الله بمعجزة بهرت الأبصار، وحيرت كل سحار؛ فلما تيقنوا أنها من عند الله انقادوا للإسلام؛ وأما عيسى – عليه السلام– فبعث في زمن ازدهر في الطب، وعلم الطبيعة، فجاء بآيات يعجز البشر عن الإتيان بمثلها، إلا أن يكون مؤيدا من الذي شرع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه، والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد؟[٢٣]

ثانياً: معجزة نبينا محمدﷺ:

إن المعجزة الكبرى لنبينا محمد ﷺ لم تكن حسية، بل كانت عقلية، فالمعجزات تنقسم إلى حسية وعقلية؛ وأكثر معجزات بني إسرائيل حسية لبلادة عقولهم، وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات الأمة المحمدية عقلية؛ لفرط ذكائهم وكمال عقولهم؛ ولأن هذه الشريعة باقية إلى يوم القيامة، وخصت بالمعجزة العقلية الباقية؛ ليراها أصحاب العقول[٢٤]

والنبي ﷺ قد جاء في أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، ومع ذلك فكانت البلاغة والفصاحة طبيعة من طبائعهم، فأيده الله بمعجزة كبرى، من جنس ما برعوا فيه، فكانت معجزة القرآن في فصاحته وبلاغته، وتحدى العرب أن يأتوا بمثله فعجزوا، وهم أساطين الفصاحة والبلاغة.

فجاءهم رسول الله ﷺ بكتاب من عند الله، عز وجل، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وما ذاك إلا لأن كلام الله لا يشبهه كلام الخلق أبداً.[٢٥]

وعندما ادعى أهل مكة أن النبي ﷺ جاء بالقرآن من عند نفسه؛ طلب منهم الحق سبحانه وتعالى أن يأتوا بمثله، فهو بشر، وهم بشر، فإن كان هو بطاقته البشرية قد أتى بمثل هذا الكلام فمن الذي يمنعكم من الإتيان بمثله وأنتم بشر مثله؟ قال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ} [الطور: ٣٣– ٣٤]

وكان هذا تحدي لأهل مكة حتى يتبين لهم عجزهم عن الإتيان بمثله، أي: إن كان شاعراً ففيكم الشعراء البلغاء، والكهنة الأذكياء، ومن يرتجل الخطب النثرية والقصائد الشعرية، ويقص القصص، ولا يختلف الناقص والزائد فليأتوا بمثل ما أتى به، وعندما عجزوا عن الإتيان بمثله تحداهم بأن يأتوا بعشر سور من مثله. [٢٦]

فقال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [هود: ١٣] فلما عجزوا عن الإتيان بعشر سور توافق القرآن، تحداهم بأقل من ذلك فقال تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: ٢٣] أي من كلام مثله، وقيل من بشر مثله، ويحقق القول الأول الآيتان السابقتان؛

فلما عجزوا عن أن يأتوا بسورة تشبه القرآن على كثرة الخطباء فيهم، والشعراء قال تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: ٨٨] فقد ثبت أنه تحداهم بالقرآن، وأنهم عجزوا عن الإتيان بمثله؛ لأنهم لو قدروا على ذلك لفعلوا ولما عدلوا إلى العناد تارة والاستهزاء أخرى[٢٧] فلو كان العرب لا يتصفون بالبلاغة والفصاحة لفقدت هذه المعجزة الهدف منها.

المطلب الثالث المعجزة مقرونة بالتحدي:

ومن خصائص المعجزة أنها مقرونة بالتحدي؛ لإثبات العجز البشري عن الإتيان بمثلها، والإيقان أن لهذا الكون خالق وهو الفاعل الحقيقي للمعجزة، وقد يدعي البعض أن المعجزة سحراً، وتم إبطال هذا الادعاء، بتحدي السحرة لموسى –عليه السلام– وهم أول من شهدوا له بالرسالة، وأن ما أتى به ليس سحراً؛ لأنهم خبراء بالسحر وأن ما تم على يد موسى –عليه السلام– معجزة يعجزون عن الإتيان بمثلها.

إن الله –سبحانه وتعالى– أرسل موسى –عليه السلام– إلى فرعون وقومه وأيده بمعجزات تشهد له بالصدق، وهي اليد والعصى، فظن فرعون أن موسى –عليه السلام– ساحراً؛ فجمع له أمهر السحرة، وبدأ التحدي ليظهر أنبي هو وأن ما أتى به معجزة أم سحر؟

قال تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} [الأعراف: ١١٥– ١١٦] فلما قال موسى للسحرة: ابدأوا أنتم كان ذلك لتمام ثقته في الله، وأن الله ناصره على السحرة، ولما وقع التخيير في التقديم والتأخير، اختار التأخير وأذن لهم في التقديم؛ ازدراء لشأنهم، وقلة مبالاة بهم، وثقة بما وعده الله تعالى به من التأييد والقوة، وأن المعجزة لا يغلبها سحر أبداً[٢٨]

وما نتج عن السحرة إلا خيالات، وأوهام للناس عبر عنها المولى –عز وجل– بقوله: {سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} [الأعراف: ١١٦] فقلبوا أعين الناس عن صحة إدراكها بسبب تلك التمويهات، وخُيل للناس أن الحبال والعصي حيات تسعى.[٢٩]

وفي هذه اللحظة أوحى الله –سبحانه وتعالى– إلى موسى –عليه السلام– أن ألق عصاك فتحولت العصا إلى حية تسعى، قال تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ} [الأعراف: ١١٧]

فحينما تحولت العصا إلى حية لم يتعجب السحرة؛ لأنهم ظنوا أن هذا سحر، ولكن عندما أكلت حبالهم وعصيهم بدأ العجب، لأن السحر لا يأكل ولا يشرب، ولما عادت إلى طبيعتها أيقنوا أن هذا ليس سحراً؛ وذلك لأن ذلك الثعبان العظيم لما ابتلع تلك الحبال والعصي مع كثرتها؛ ثم صار عصا كما كان فهذا يدل على أنه تعالى أفنى أجسام تلك الحبال والعصي، أو على أنه تعالى فرق أجزاء هذه الأجسام، وجعلها ذرات غير محسوسة، وأذهبها في الهواء؛ بحيث لا يحس بذهابها وتفرقها، وعلى كلا التقديرين فلا يقدر على هذه الحالة أحد إلا الله.(٣٠)

وهنا آمن السحرة فوراً برب موسى وهارون، لعجزهم عن التحدي؛ ولأنهم أيقنوا أنهم أمام قدرة إلهية، لا قدرة بشرية، قال تعالى: {وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ} [الأعراف: ١٢٠: ١٢٢]

المبحث الثالث

الفرق بين المعجزات وباقي خوارق العادات

إن الأمور التي تتصف بخرقها للعادة كثيرة منها المعجزات والإرهاصات وهي لتأييد الأنبياء، ومنها الكرامات التي أجراها الله على أيدي الصالحين، وقد أعطى الله لبعض أعداءه أموراً خارقة للعادة، وتسمى الإهانة، والاستدراج.

المطلب الأول الفرق بين المعجزة والإرهاص والكرامة:

قد اتضح من خلال ما سبق معنى المعجزة فما هو الفرق بينها وبين الإرهاص، والكرامة؟

أولاً الإرهاص: هو أمر خارق للعادة يظهره الله على يد نبي من أنبياءه قبل البعثة، وغير مقرون بالتحدي، ولا دعوى النبوة؛ كالنور الذي كان في جبين آباء النبي –ﷺ– وقد عرف الجرجاني الإرهاص بأنه: ظهور أمر خارق للعادة يدل على بعثة نبي قبل بعثته وقال: "هو ما يصدر من النبي ﷺ قبل بعثته ويكون خارق للعادة؛ وقيل: إنها من قبيل الكرامات؛ لأن الأنبياء قبل النبوة لا يقصرون عن درجة الولاية.(٣١)

ويظهر من هذه التعريفات أن من العلماء من يطلق على الخارق للعادة للنبي قبل بعثته إرهاص، وهناك من يطلق عليه كرامة على اعتبار أن الكرامة درجة من الدرجات التي يمر بها النبي؛ ولكن الأفضل والأرجح أنها إرهاص؛ لأن اعتبار النبوة تمر بمراحل ومنها الولاية قد يوحي بأن النبوة مكتسبة.

أما من عد الإرهاصات من جملة المعجزات فهذا من قبيل التغليب؛ والمحققون على أن خوارق العادات المتعلقة ببعثة النبي إذا كانت متقدمة فإن ظهرت منه فهي من قبيل الإرهاص.[٣٢]

وعليه فالإرهاص يختلف عن المعجزة فيما يأتي:

- المعجزة تظهر على يد نبي بعد بعثته، والإرهاص يظهر على يد نبي قبل بعثته، والعلة من إظهار هذا الخارق للعادة قبل بعثة النبي هي: تأسيس لظهور بعثته، وتمهيداً للنبوة، وتهيئة لعقول الناس لقبول دعوته.[٣٣]
- المعجزة مقرونة بدعوى التحدي، أما الإرهاص غير مقرون بالتحدي.
- المعجزة دليل على صدق النبي، والإرهاص تمهيد وتأسيس لنبوة النبي.

ومن إرهاصات الأنبياء، ظهور النور في جبين عبد الله والد نبينا ﷺ وكإظلال الغمامة له، وشق صدره الشريف ﷺ[٣٤]ومثل ما جرى للسيدة مريم، وعند مولد الرسول ﷺ فهو إرهاص أي تمهيد، وإعلام بمجيء الرسول، فما خرقت في الحقيقة والطبيعة إلا لنبي[٣٥]

ثانيا الكرامة: هي خارق للعادة يجريها الله على يد ولي من أوليائه الصالحين؛ لا يدعي النبوة، وغير مقرونة بالتحدي؛ وعرفها الجرجاني بأنها: ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص لا يدعي النبوة،[٣٦] وخُرقت العادة للأولياء لمتابعتهم الرسول، فكما أن من تقدمه فهو من معجزاته، فكذلك ما تأخر عنه.[٣٧]

فهل وقوع الكرامات أمر جائز أم مستحيل؟ اختلف الناس في هذا الأمر ، والحق أن ذلك جائز؛ فإنه يرجع إلى خرق الله تعالى العادة بدعاء إنسان، أو عند حاجته، وهي من الأمور الممكنة الغير مستحيلة، ولا يؤدي إلى محال آخر، والكرامة لا تؤدي إلى بطلان المعجزة؛ لأنها عبارة عما يظهر من غير اقتران نبوة أو تحدي،[٣٨] والكرامة دليل على أن صاحبها ملتزم للشرع، فهي لا تحصل للولي إلا بمتابعته لشرع نبيه[٣٩]

فالكرامة تختلف عن المعجزة في الآتي:

- إن المعجزة خارقة للعادة على يد من يدعي النبوة، والكرامة خارقة للعادة على يد عبد صالح لم يدع النبوة.
- إن المعجزة مقرونة بالتحدي، أما الكرامة فغير مقرونة بالتحدي؛ كما قال سعد الدين التفتازاني في شرحه لتعريف المعجزة.[٤٠]

والسبب الرئيسي للكرامات هو: اتباع الأنبياء، فالصالحون الذين يدعون إلى طريق الأنبياء لا يخرجون عنها، فتلك خوارقهم من معجزات الأنبياء؛ فإنهم يقولون: نحن إنما حصل لنا هذا باتباع الأنبياء، ولو لم نتبعهم لم يحصل لنا هذا.[٤١]

المطلب الثاني الفرق بين المعجزة والإهانة والاستدراج:

الإهانة: خارق للعادة يجريه الله على يد كذاب يدعي النبوة، مخالفاً لما أراد تكذيباً له؛ فلو قال معجزتي أن يتكلم هذا الضب، فنطق فعلاً وقال: إنه كاذب، فهذا إهانة له وظهور كذبه أمام الناس،[٤٢] وقد أثر أن امرأة قالت لمسيلمة الكذاب: إن نخلنا لسحيق، وإن آبارنا لجرز، فادع الله لمائنا ونخلنا كما دعا محمد ﷺ لأهل زمانه، ففعل مسيلمة ذلك، فغار ماء الآبار، ويبس النخل،[٤٣] وتفل في عين أعور لتبرأ، فعميت الصحيحة.[٤٤]

فالإهانة تختلف عن المعجزة، في أن المعجزة خارقة للعادة على يد مدعي النبوة موافقاً لما أراد تصديقاً له؛ أما الإهانة خارق للعادة على يد مدعي النبوة مخالفاً لما أراد تكذيباً له.

الاستدراج: هو خارق للعادة يظهره الله على يد فاسق خديعة ومكراً به،[٤٥] أو ابتلاء للناس؛ كي يتميز المؤمن من الكافر، كالخوارق التي تظهر على يد المسيح الدجال في آخر الزمان، فقد يدعي الألوهية، ويجري الله على يديه خوارق العادات استدراجاً وابتلاء للناس؛ فعن المغيرة بن شعبة: "ما سأل أحد النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال ما سألته، وإنه قال لي: ما يضرك منه؟ قلت: لأنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء، قال: هو أهون على الله من ذلك"[٤٦]

وفي حديث النواس بن سمعان قال: قلنا: يا رسول الله! وما إسراعه في الأرض؟ قال "كالغيث استدبرته الريح؛ فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت"[٤٧] وذكر النووي أن لا يغتر به إلا رعاع من الناس لسد حاجتهم، أو خوفاً منه؛ لأن فتنته كبيرة جداً تعجز العقول عن فهمها وتحير الألباب... وقال أيضاً: ومن تفخيمه، وتعظيم فتنته، والمحنة به هذه الأمور الخارقة للعادة[٤٨] التي يجريها الله على يديه استدراجاً للناس ليتميز قوي الإيمان من ضعيفه، المؤمن من الكافر.

وبذلك يتميز الاستدراج عن المعجزة؛ لأن الاستدراج خارق للعادة يجريه الله على يد من يدعي الألوهية استدراجاً له وللناس؛ حتى يتميز قوي الإيمان من ضعيفه، وصحيح العقيدة من سقيمها؛ وتتميز المعجزة عن باقي خوارق العادات بهذه القيود التي ذكرت في هذا المبحث.

المطلب الثالث الفرق بين المعجزة والسحر:

السحر: خفة في اليد يرى أن لها حقيقة ولا حقيقة لها، كما يقع للسحرة، والسحر ليس من خوارق العادات؛ لأنه عادة عند من يتعلم أسبابه،[٤٩] وإن كان في ظاهره يوحي بأنه خارق للعادة؛ لأنه يعتمد على الأوهام والخيالات قال تعالى: {سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} [الأعراف: ١١٦] فالسحر يكون عن طريق التعليم، والسحر يُعارض، فقد يأتي ساحر يُعارض ما فعله ساحر آخر بسحره.

قال أبو حامد الغزالي عن السحر: "هو نوع من العلوم يستفاد من العلم بخواص الجواهر، وبأمور حسابية في مطالع النجوم"[٥٠] أما المعجزة فهي من عند الله، ولا دخل للبشر فيها، وقد تبين هذا من لقاء السحرة بموسى –عليه السلام– فلأنهم خبراء بالسحر علموا أن ما فعله موسى ليس سحراً.[٥١]

وقال أبو حامد الغزالي في رده على شبهة تشبيه السحر بالمعجزة: "لم يدع عاقل أن السحر يؤدي إلى إحياء الموتى، وقلب العصا حية، وغير ذلك من المعجزات، فمن المستحيل أن يقوم الساحر بأفعال الله –تعالى–"[٥٢] فالغزالي يفرق بين السحر والمعجزة من جهة الفاعل، فالفاعل للمعجزة هو الله، والفاعل للسحر هو الساحر، ومن المستحيل أن يكون للساحر فعل من أفعال الله.

فإن سحرة فرعون لما كانوا خبراء بالسحر لطول مشاهدتهم، وتجربتهم رأوا أن موسى عليه السلام قد تجاوز حدود السحر، وعلموا حقيقة الأمر فلم يهتموا بقول فرعون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف،[٥٣] فإن جميع ما يختص بالسحرة، والكهنة من طلاسم، ومخاطبة الكواكب، كل ذلك مناقض للنبوة، فإن النبي لا يكون إلا مؤمناً والسحرة كفار، فوجود ما يناقض الإيمان يناقض النبوة؛ وجميع ما يختص به السحرة، والكهان، وغيرهم مما ليس بنبي، لا يخرج عن مقدور الإنس والجن، [٥٤] ولا يكون بذلك مخالف للعادة.

المبحث الرابع

إمكانية وقوع المعجزات نقلاً وعقلاً

ومن خلال ما سبق يتضح معنى المعجزة، وخصائصها، والفرق بينها وبين باقي خوارق العادات، والسحر، ولكن هناك من ينكر كون المعجزة بهذه الماهية، فهي عند أهل السنة من فعل الفاعل المختار يظهرها على يد من يريد تصديقه.

المعجزة عند الفلاسفة: عبارة عن رياضة نفسية للإنسان يقدر معها على فعل هذه الأمور،[٥٥] وقد نقل عضد الدين الإيجي قولهم في المعجزة، وأن سببها ارتفاع النفس إلى عالم القدس، وانشغالها البدن وتحليل مادته؛ وقد قسموا المعجزة إلى ثلاثة أقسام (ترك، وقول، وفعل) والترك يتمثل في ترك الطعام والشراب مدة زمنية تخالف العادة، والقول كالأخبار بالغيبيات، وأما الفعل كشق البحر وانقلاب العصا حية،[٥٦] ومن الفلاسفة، حكماء الهند من البراهمة لا يقولون بالنبوات أصلاً[٥٧]؛ وبالتالي فلا يؤمنون بالمعجزات.

وقد حلل الرازي أقوال من ينكرون المعجزات من الفلاسفة ووجد أنهم أطبقوا على إنكار خوارق العادات؛ وقد ألزمهم الاعتراف بها في مسائل منها: أنهم جوزوا حدوث الإنسان بالتولد وقرروا ذلك بأن قالوا: البدن الإنساني إنما تولد من مقادير مخصوصة من العناصر الأربعة (الماء، والتراب، والهواء، والنار)، فتلك المقادير اختلطت، وامتزجت في مدة معلومة، وحدث التوالد بسبب هذا الامتزاج؛ وتم حدوث البدن بهذا الطريق[٥٨] فوجهة نظر الفلاسفة هذه مخالفة للعادة، فيلزمهم بذلك الإقرار بخوارق العادات.

والقدرية مع أنهم لم ينكروا المعجزة، ولكنهم ينكرون مصدرها فقالوا: إن المعجزات ليس شيء منها من فعل الله؛ فإن الله خلق الأجسام، والأجسام خلقت الأعراض في نفسها، وليست المعجزة حدوث جسم، وإنما وجه الإعجاز كون الجسم على وجه لم تجر العادة به، وليست الأعراض فعل الله، وبان من هذا أن ليست المعجزات من فعل الله[٥٩] وكلام القدرية هذا يقضي على الدين بأكمله.

المطلب الأول خوارق العادات في القرآن الكريم:

قد ذكر الحق سبحانه وتعالى الكثير من خوارق العادات في القرآن، منها معجزات، ومنها كرامات للصالحين.

فمن خوارق العادات للأنبياء (المعجزات) ما يلي:

معجزة صالح –عليه السلام– قال تعالى: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً} [الأعراف: ٧٣] فخروج ناقة من الجبل أمر خارق للعادة.

معجزة موسى –عليه السلام– قال تعالى: {قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ} [سورة الأعراف: ١٠٦: ١٠٨]

معجزة عيسى –عليه السلام– قال تعالى: {وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ٤٩]

معجزة إبراهيم –عليه السلام– قال تعالى: {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ} [الأنبياء: ٦٩].

ومن خوارق العادات للصالحين (الكرامات) ما يلي:

ما حدث للسيدة مريم في أن تلد دون زوج قال تعالى: {قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا} [مريم: ٢٠- ٢١] وأن يأتيها رزق الشتاء في الصيف، والعكس الأمر الذي تعجب منه زكريا –عليه السلام– قال تعالى: {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [آل عمران: ٣٧]

ما حدث من الرجل الذي عنده علم من الكتاب مع سليمان –عليه السلام– قال تعالى: {قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي} [النمل: ٤٠]

وما حدث مع أهل الكهف، قال تعالى: {وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا} [الكهف: ٢٥] فهذه أمور خارقة للعادة قد ذكرها القرآن الكريم، فما كان منها لنبي من الأنبياء فهي معجزة، وما كان لغير نبي فهي كرامة.

المطلب الثاني خوارق العادات في السنة النبوية:

أما عن خوارق العادات في السنة النبوية، فوردت أحاديث كثيرة تثبت حصول خوارق للعادة على يد النبي ﷺ ومنها:

نبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ عن أنس –رضي الله عنه– قال: "أتى النبي ﷺ بإناء، وهو بالزوراء، فوضع يده في الإناء، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ القوم، قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة، أو زهاء ثلاثمائة"(٦٠)

تكثير الماء، عن البراء رضي الله عنه قال: "كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر، فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة، فجلس النبي ﷺ على شفير البئر فدعا بماء فمضمض، ومج في البئر فمكثنا غير بعيد، ثم استقينا حتى روينا وروت أو صدرت ركائبنا"(٦١)

تسبيح الطعام في يده ﷺ فعن عبد الله قال: " فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل"(٦٢)

وما حدث لعمر بن الخطاب ورؤيته سارية في أرض المعركة وهو على المنبر قال ابن كثير: " وذكر سيف عن شيوخه، أن عمر بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ قال: يا سارية بن زنيم، الجبل الجبل! فلجأ المسلمون إلى جبل هناك، فلم يقدر العدو عليهم إلا من جهة واحدة، فأظفرهم الله بهم، وفتحوا البلد، وغنموا شيئا كثير"(٦٣)

ولا عجب في أن يحدث خارق للعادة لعمر بن الخطاب فقد تنبأ النبي ﷺ بهذا الأمر فعن عائشة –رضي الله عنها– عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ أنه كان يقول: "قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون؛ فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم."[٦٤] واختلف العلماء في المراد بمحدثين، فقال بن وهب: ملهمون وقيل: مصيبون وإذا ظنوا فكأنهم حدثوا بشئ فظنوا، وقيل: تكلمهم الملائكة وجاء في رواية متكلمون وقال البخاري: يجري الصواب على ألسنتهم وفيه إثبات كرامات الأولياء"[٦٥]

فهذا دليل من القرآن والسنة على وجود خوارق العادات معجزات أو كرامات، ويجب الإيمان بما ورد فيهما.

المطلب الثالث خوارق العادات من حيث العقل:

ومن خلال ما سبق يتضح أن الفاعل الحقيقي للمعجزة هو الله –سبحانه وتعالى– وهو الخالق، وخلق هذا الكون على نظام وعادة مستمرة؛ لذلك فالقادر على خلق هذا الكون بهذا النظام قادر على خرق هذا النظام، والعقل البشري لا يدرك هذه الكيفية؛ لأنه لو أدركها لما كانت معجزة؛ فخرق العادة ليس أمراً مستحيلاً على الله –سبحانه وتعالى– بل هو في حيز الإمكان، ويجيزه العقل؛ ولذلك قال إمام الحرمين: "كل ما جوزه العقل وورد به الشرع وجب القضاء بثبوته "[٦٦]

وأكد العلماء على أن خوارق العادات أمور ممكنة في نفسها، ممتنعة في العادة، فحصولها ممكن، والذي يحكم بامتناعها عادة الناس إلى ما ألفوا؛ إذ لو ألفوا العكس لكان ذلك لهم عادة، بمعنى أنه لم يجر العادة بوقوعها كانقلاب العصا حية، فإمكانها ضروري، وإبداعها ليس أبعد من إبداع خلق الأرض والسماء وما بينهما. [٦٧]

وهنا يمكننا أن نصيغ قياساً من الشكل الأول وهو: المعجزات ممكنة عقلاً، وكل ممكن عقلاً ورد في الشرع يجب الإيمان به؛ ينتج أن المعجزات يجب الإيمان بها؛ لأنها ممكنة عقلاً ووردت على لسان الشرع.

والمخترعات الحديثة اليوم تؤكد إمكانية المعجزة، فقد توصل الإنسان مخترعات كالهواتف الذكية، والإنترنت فلو إنسان في أقصى الشرق يمكنه من خلال هذه الآلات رؤية وحديث إنسان آخر في أقصى الغرب؛ فالخالق قادر على فعل هذه الأشياء دون ولكم دون واسطة من هذه الآلات أو غيرها.

الخاتمة

وبعد الانتهاء من هذه الدراسة التي قامت بدراسة معنى المعجزة لغة واصطلاحاً، وبيان خصائص المعجزة، والفرق بين المعجزات وباقي خوارق العادات، والفرق بين المعجزة والسحر، وبيان إمكانية وقوع معجزات الأنبياء بين النقل والعقل، فقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج وتوصيات.

النتائج:

٥. إن المعجزات هي الأدلة على صدق الرسل والأنبياء –عليهم السلام–
٦. إن الفاعل الحقيقي للمعجزة هو الله –سبحانه وتعالى– ويجريه على يد نبي من أنبيائه وكأنه يقول: صدق عبدي فيما بلغ عني.
٧. إن منكر خوارق العادات (معجزات أو كرامات) فهو منكر لصريح القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؛ وبذلك يكون أنكر معلوماً من الدين بالضرورة.
٨. إن المعجزة ممكنة عقلاً، وقد تحدث عنها الشرع؛ لذا يجب الإيمان بها.

التوصيات:

وتوصي هذه الدراسة بالمزيد من البحث في هذه الأمور كحاجة البشر إلى النبوة، والدين، دراسة عقلية نقلية؛ حتى يتسنى للمسلمين وخاصة الشباب منهم، معرفة العقيدة عن يقين، خاصة في زمن تنتشر فيه قوى المادية والإلحاد، وإنكار لمعجزات الأنبياء، وخاصة حادثة الإسراء والمعراج على وسائل الإعلام، ووسائل التواصل الاجتماعي.

الهوامش

[١] انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، مصر: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ج٤ ص٦٢.
[٢] انظر شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، ت: عبد الرحمن عميرة، بيروت: عالم الكتب، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ج٥ ص١٥.
[٣] مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج٤ ص٢٣٢ وما بعدها، مادة (عجز).
[٤] انظر لسان العرب، ابن منظور، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ، ج٥ ص٣٦٩ وما بعدها، مادة (عجز).
[٥] المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن جبل، مصر: مكتبة الآداب، ٢٠١٠م، ج٣ ص١٤١٠، مادة (عجز).
[٦] انظر لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، أبو المعالي الجويني، ت: فوقية حسين محمود، لبنان: عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص١٢٤.
[٧] انظر شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، ص١١.
[٨] انظر التعريفات، الشريف الجرجاني، ت: جماعة من العلماء، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص٢١٩.
[٩] انظر التبصير في الدين، أبو المظفر الإسفراييني، ت: كمال يوسف الحوت، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص١٦٩، / وانظر لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، أبو المعالي الجويني، ص١٢٤، / وانظر معالم أصول الدين، الفخر الرازي، ت: طه عبد الرؤوف سعد، لبنان: دار الكتاب العربي، د.ت، ص١٠٢، / وانظر شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، ص١٣- ١٤، / وانظر المواقف، عضد الدين الإيجي، بيروت: عالم الكتب، د. ت، ص٣٣٩، / وانظر النبوات، لابن تيمية، ت: عبد العزيز بن صالح الطويان، الرياض: أضواء السلف، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ج١ ص٤٠.
[١٠] انظر لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، أبو المعالي الجويني، ص١٢٥.
[١١] انظر شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، ص١٩.
[١٢] انظر النبوات، ابن تيمية، ج١ ص٤٠.
[١٣] انظر العقائد الإسلامية، سيد سابق، بيروت: دار الكتاب العربي، ص٢٠٨.
[١٤] انظر شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، ص١٤، / وانظر العقيدة والأخلاق، محمد سيد طنطاوي، مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت، ص١١٨ وما بعدها.
[١٥] انظر شرح جوهرة التوحيد، إبراهيم الباجوري، ت: محمد الكيلاني وآخرون، د. ن، ص٢٩٨.
[١٦] انظر مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ، ج٢٢، ص١٥٩.
[١٧] قال الباجوري: "من اعتقد أن الأسباب العادية كالنار، والسكين، والأكل، والشرب يؤثر في مسبباتها كالحرق، والقطع، والشبع، والري بطبعها، وذاتها فهو كافر بالإجماع، أو بقوة خلقها الله فيها، ففي كفره قولان، والأصح انه ليس بكافر، بل هو فاسق مبتدع؛ ومن اعتقد أن المؤثر هو الله تعالى، لكن جعل بين الأسباب ومسبباتها تلازماً عقلياً؛ بحيث لا يصح تخلفها فهو جاهل، وربما جره ذلك إلى الكفر؛ فإنه قد ينكر معجزات الأنبياء لكونها على خلاف العادة، ومن اعتقد أن المؤثر هو الله تعالى، ولكن جعل بين الأسباب والمسببات تلازماً عادياً؛ بحيث يصح تخلفها فهو المؤمن الناجي إن شاء الله تعال" شرح جوهرة التوحيد، إبراهيم الباجوري، ص١٩٧.
[١٨] انظر التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ج١٧ ص١٠٦.
[١٩] المواقف، عضد الدين الإيجي، ص٣٣٩.
[٢٠] الجامع الأحكام القرآن، القرطبي، ج٤ ص٩٤.
[٢١] انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج٢ ص٤٤.
[٢٢] انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٤ ص٩٤.
[٢٣] تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، ج٢ ص٤٥.
[٢٤] انظر الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ج٤ ص٣.
[٢٥] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٢ ص٤٥.
[٢٦] مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ، ج٢٨ ص٢١٤.

[٢٧] انظرالبرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، ج٢ ص٩١، / وانظر الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج٤ ص٤، / وانظر مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مصر: مطبعة عيسى الحلبي، د. ت، ط٣، ج٢ ص٣٣٣.
[٢٨] مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، ج١٤ ص٣٣٥.
[٢٩] انظر مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، ج١٤، ص٣٣٥، / وانظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٧، ص٢٥٩، / وانظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٣ ص٤٥٦- ٤٥٧، / وانظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ج٩ ص٤٧.
[٣٠] انظر مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، ج١٤، ص٣٣٦، / وانظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٣ ص٤٥٧، / وانظر التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج٩ ص٤٩.
[٣١] التعريفات، الشريف الجرجاني، ص١٦.
[٣٢] شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، ص١٣.
[٣٣] شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، ص١٣.
[٣٤] انظر شرح جوهرة التوحيد، إبراهيم الباجوري، ص٢٩٩.
[٣٥] النبوات، ابن تيمية، ج١ ص١٣٣.
[٣٦] التعريفات، الشريف الجرجاني، ص١٨٤.
[٣٧] النبوات، ابن تيمية، ج١ ص١٣٣.
[٣٨] الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ص١٠٧.
[٣٩] النبوات، ابن تيمية، ج١ ص٤٠.
[٤٠] انظر شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، ص١١.
[٤١] النبوات، ابن تيمية، ج١ ص١٤١.
[٤٢] انظر المواقف، عضد الدين الإيجي، ص٣٣٩، / وانظر شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، ص١٢.
[٤٣] الكامل في التاريخ، عز الدين ابن الأثير، ت: عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ج٢ ص٢١٦.
[٤٤] شرح جوهرة التوحيد، إبراهيم اللقاني، ص٢٩٩.
[٤٥] شرح جوهرة التوحيد، إبراهيم اللقاني، ص٢٩٨.
[٤٦] صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: جماعة من العلماء، مصر: الطبعة السلطانية بالمطبعة الكبرى الأميرية، ١٣١١هـ، كتاب الفتن، باب (ذكر الدجال)، ٩/ ٥٩ (٧١٢٢).
[٤٧] صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، د.ت، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب (ذكر الدجال وصفته وما معه)، ٤/ ٢٢٥٠ (٢٩٣٧).
[٤٨] انظر المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢م، ج١٨ ص٥٩ وما بعدها.
[٤٩] شرح جوهرة التوحيد، إبراهيم الباجوري، ص٣٠٠.
[٥٠] إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، بيروت: دار المعرفة، د.ت، ج١ ص٢٩.
[٥١] انظر مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، ج١٤ ص ٣٣٦.
[٥٢] الاقتصاد في الاعتقاد، ص١٠٦.
[٥٣] إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ج٤ ص٢٥٣.
[٥٤] النبوات، ابن تيمية، ج٢ ص٩٩٢.
[٥٥] النبوات، ابن تيمية، ج١ ص١٣٨.
[٥٦] المواقف، عضد الدين الإيجي، ص٣٤١.
[٥٧] الملل والنحل، الشهرستاني، مصر: مؤسسة الحلبي، د. ت، ج٢ ص١١٨.
[٥٨] النبوات وما يتعلق بها، الفخر الرازي، ت: أحمد حجازي السقا، بيروت: دار ابن زيدون للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص١٠٦- ١٠٧.
[٥٩] انظر أصول الدين، عبد القاهر البغدادي، إستانبول، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م، ص١٧٧.
[٦٠] صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب (علامات النبوة في الإسلام) ٤/ ١٩٢(٣٥٧٢).
[٦١] صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب (علامات النبوة في الإسلام) ٤/ ١٩٣ (٣٥٧٧)
[٦٢] صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب (علامات النبوة في الإسلام) ٤/ ١٩٤ (٣٥٧٩)
[٦٣] البداية والنهاية، ابن كثير، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ - ١٩٩٧م، ج١٠ ص١٧٤.

[٦٤] صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب (من فضائل عمر رضي الله عنه)، ٤/ ١٨٦٤ (٢٣٩٨).
[٦٥] انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ج١٥، ص١٦٦.
[٦٦] لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، أبو المعالي الجويني، ص١٢٦.
[٦٧] شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، ص١٥.

Sources and references

1. Perfection in the Sciences of the Qur'an, Jalal Al-Din Al-Suyuti, T: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Egypt: The Egyptian General Book Organization, 1394 AH - 1974 AD.

2. The Revival of Religious Sciences, Abu Hamid Al-Ghazali, Beirut: Dar Al-Maarifa, Dr. T.

3. The Fundamentals of Religion, Abdul Qaher Al-Baghdadi, Istanbul, 1346 AH - 1928 AD.

4. Economy in Belief, Abu Hamid Al-Ghazali, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, 1424 AH - 2004 AD.

5. The Beginning and the End, Ibn Katheer, T: Abdullah bin Abdul Mohsen Al-Turki, Publisher: Dar Hajar for Printing and Publishing, 1424 AH - 1997 AD.

6. Al-Burhan in the Sciences of the Qur'an, Badr Al-Din Al-Zarkashi, T: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Egypt: Dar Isa Al-Babi Al-Halabi, The Arab Book Revival House, 1376 AH - 1957 AD.

7. Insight into Religion, Abu Al-Muzaffar Al-Isfarayini, T: Kamal Youssef Al-Hout, Beirut: World of Books, 1403 AH - 1983 AD.

8. Liberation and Enlightenment, Al-Taher Bin Ashour, Tunisia: The Tunisian Publishing House, 1984 AD.

9. Al-Tarifat, Al-Sharif Al-Jurjani, T: A Group of Scholars, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, 1403 AH - 1983 AD.

10. Interpretation of the Great Qur'an, Ibn Katheer, T: Sami bin Muhammad Al-Salamah, Publisher: Dar Taibah for Publishing and Distribution, 2nd edition, 1420 AH - 1999 AD.

11. Al-Jami' Ahkaam Al-Qur'an, Al-Qurtubi, T: Ahmed Al-Bardouni, and Ibrahim Atfayyesh, Egypt: The Egyptian Book House, 1384 AH - 1964 AD.

12. Sharh al-Maqasid, Saad al-Din al-Taftazani, T: Abd al-Rahman Amira, Beirut: The World of Books, 2nd edition, 1419 AH - 1998 CE.

13. Explanation of the Jewel of Monotheism, Ibrahim Al-Bagouri, T: Muhammad Al-Kilani and others, d. n.

14. Sahih Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail Al-Bukhari, T: A Group of Scholars, Egypt: Al-Sultani Edition, Al-Kubra Al-Amiri Press, 1311 AH.

15. Sahih Muslim, Abu Al-Hussein Muslim bin Al-Hajjaj, T: Muhammad Fouad Abdel-Baqi, Egypt: Issa Al-Babi Al-Halabi Press, Dr. T.

16. Islamic Beliefs, Syed Sabiq, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, Dr. T.

17. Creed and Ethics, Mohamed Sayed Tantawi, Egypt: Nahdat Misr for Printing, Publishing and Distribution, d. T.

18. Al-Kamil in History, Izz al-Din Ibn al-Atheer, T: Omar Abdul Salam Tadmuri, Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1417 AH - 1997 AD.

19. Lisan Al-Arab, Ibn Manzoor, Beirut: Dar Sader, 3rd edition, 1414 AH.

20. The Brilliant Evidence in the Principles of the Beliefs of Ahl al-Sunnah wal Jama'ah, Abu al-Maali al-Juwayni, T: Fawqiyyah Hussein Mahmoud, Lebanon: The World of Books, 2nd edition, 1407 AH - 1987 AD.

21. Milestones of the Fundamentals of Religion, Al-Fakhr Al-Razi, T: Taha Abdel Raouf Saad, Lebanon: Dar Al-Kitab Al-Arabi, Dr. T.

22. The etymological dictionary of the words of the Holy Qur'an, Muhammad Hassan Jabal, Egypt: Library of Arts, 2010.

23. Keys to the Unseen, Al-Fakhr Al-Razi, Beirut: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, 3rd edition, 1420 AH.

24. Standards of Language, Ibn Faris, T: Abd al-Salam Muhammad Haroun, Publisher: Dar Al-Fikr, 1399 AH - 1979 AD.

25. Al-Milal wa'l-Nihal, al-Shahristani, Egypt: Al-Halabi Foundation, d. T.

26. The fountains of gratitude in the sciences of the Qur'an, Muhammad Abdel-Azim Al-Zarqani, Egypt: Issa Al-Halabi Press, d. T.

27. Al-Minhaj Explanation of Sahih Muslim, Al-Nawawi, Beirut: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, 2nd edition, 1392 AD.

28. Al-Mawqif, Adad al-Din al-Aji, Beirut: The World of Books, d. T.

29. The Prophecies and Related Things, Al-Fakhr Al-Razi, T: Ahmed Hijazi Al-Sakka, Beirut: Dar Ibn Zaydun for Printing and Publishing, 1406 AH - 1986 AD.

30. The Prophecies, by Ibn Taymiyyah, T: Abdul Aziz bin Saleh Al-Tawyan, Riyadh: Adwaa Al-Salaf, 1420 AH - 2000 AD.